يوم الفرقان




الكاظمين الغيظ


الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ
أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنْزَلِينَ ۞ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ
فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيم

سورة آل عمران: الآية ١٢٣-١٢٥

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين لا سيما بقية الله في الأرض عجل الله فرجه .

في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك يعيش المسلمون ذكرى (يوم الفرقان) وهو اليوم الذي فرق الله سبحانه به بين الحق والباطل في معركة بدر الكبرى بكل ما فيها من صمود وبطولة للمسلمين الأوائل والتدخل الإلهي لنصرة القلة ,عدة وعدداً ,على الكثرة في كل شيء لأن هذه القلة مع الله سبحانه وتلك الكثرة والقوة مع الشيطان ,فالحري بالمسلمين أن يعيدوا إلى ذاكرتهم ذلك الماضي الزاهر بكل صوره ويستفيدوا منه لرسم حاضرهم ومستقبلهم ,خصوصاً وهم يعيشون نفس الظروف التي مرت بالأمة الإسلامية آنذاك فالضعف بادئ على الأمة على كثرتها، وقوة أعدائها ظاهرة، بحيث يمتلكون الجو والبر والبحر ولا منجا ولا مخلص من ذلك إلا برجوع الأمة إلى الله سبحانه رجوعاً تكون مؤهلة لاستقبال النصر الإلهي وقد وعد سبحانه وهو لا يخلف الميعاد: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[1]، فمتى ما وصل المؤمنون إلى شرف (نصرة الله) سيكونوا ممن دخلوا في هذا الشرف الذي تحدثت عنه الآية وهو شرف (الله ينصركم)

(١) محمد/ آية ٧.

وهـذا العرض مفتوح للمؤمنـين في كل زمان ومكان وما عليهم إلا أن يحققوا فعل الشـرط (تنصـروا الله)حتى يتحقق جواب الشـرط (ينصركـم ويثبـت أقدامكم) والمسـلم يعلـم يقيناً أن الأمور- كل الأمور- بيده سبحانه والنصر منه: (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِـنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيـمِ)[1]، وعقيدتنا أن الأمة حين تصل إلى هذا المسـتوى يومذاك سـيخرج إمامها عجل الله فرجه وتسـتحق وفق الوعـد الإلهـي نصر الله والفتـح الكبير لكن لا يمنـع ذلك من أن يستعد المسلم لذلك قبل الظهور المبارك بل هي وظيفته في زمان الغيبة.

وفي هـذا البحـث المتواضع نسـلط الأضواء علـى بعض ذلك استلهاماً من القرآن الكريم أولاً وأحداث التأريخ ثانياً.

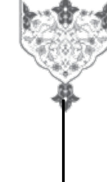
نسـأل الله تعالى أن يرزقنا هذا الاستعداد لنصرته واستقبال ولي أمره صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه.

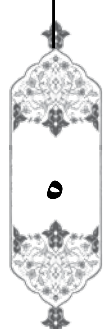
(١) آل عمران/ آية ١٢٦.

العِير والنفير:

يبدأ الحدث التأريخي برؤيا تراها عمة النبي ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب فقد رأت أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم ثم وافى بجمله على جبل أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من ا لجبل فما ترك داراً من دور قريش إلا أصاب منه فلذة، فانتبهت فزعة من ذلك وأخبرت أخاها العباس بن عبد المطلب فأخبر بدوره عتبة بن ربيعة وهو من سادات قريش - بالمعنى ا لجاهلي - فتوقع أنها مصيبة تصيب قريش وانتشر خبر الرؤيا في قريش وعندما وصل إلى سيد آخر (أبو جهل) استهزأ وقال هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لننتظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رأت حقاً وإلا لنكتبن كتاباً بيننا أنه ما من أهل بيت في العرب أكذب رجالاً ونساءاً من بني هاشم وهناك سيد ثالث وبنفس المعنى السابق لكنه لم يكن حاضراً حينها في مكة بل كان في قافلة تجارية ضخمة بحيث لم يبق قريشي ولا قريشية عنده شيء من المال إلا وله أو لها فيها حصة وعلى القافلة أربعون رجلاً وقائدهم السيد الثالث (أبو سفيان) وكان في طريق عودته من الشام وكانت فرصة كبيرة للنبي ﷺ وللمسلمين للسيطرة على هذه القافلة وللأسباب التالية:

١- رد اعتداء المشركين الذين شرَّدوا المسلمين وصادروا دورهم وأموالهم ظلماً وعدواناً.



٢- ضرب العصب الرئيسي لقريش- وهو التجارة ولإظهار المسلمين بمظهر القوة خصوصاً وأن المسلمين كانوا مجتمعاً جديداً وكل المحيطين به ينظرون إليه على أنه ضعيف، فأراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يقول ؛إن تجارتكم لن تمر بدون رضانا.

٣- محاولة رفع الضغط على المسلمين الذين لم تتح لهم الهجرة وكانوا تحت رحمة من لا يرحم، ووصل خبر توجه المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وآله لاعتراض العير إلى أبي سفيان فاتخذ إجراءين اثنين، الأول غير اتجاه القافلة فسلك طريقاً طويلاً بحيث لا يدركه المسلمون والثاني بعث ضمضم بن عمرو إلى قريش يعلمهم بتعرض المسلمين للقافلة وقد وصل بعد ثلاثة أيام من رؤيا عاتكة وبذلك انتقض عزم أبي جهل على كتابة كتاب بين قبائل قريش بأن أكذب الناس رجالاً ونساءاً بنو هاشم وبدأ يحشد قريش لحماية قافلتهم فلم يبق أحد إلا خرج في هذا الجيش أو بعث من يمثله ولم يتخلف من سادات قريش إلا أبو لهب وبعد خروج الجيش الكبير (حيث كانت عدتهم آنذاك ألف مقاتل و ٧٠٠ بعير و٢٠٠ فرس) وفي طريقهم إلى حرب المسلمين وصل خبر من أبي سفيان بأن القافلة قد فلتت من قبضة المسلمين وطلب منهم الرجوع وقد كان رأي عتبة بن ربيعة الرجوع لأن المضي للقتال معناه البغي ولا يفلح الباغي لكن أبو جهل أصر على المضي حتى يردون بدر فينحروا الجزر ويطعمون الطعام ويسقون الخمر وتعزف لهم القيان وتسمع بهم العرب وبمسيرهم وجمعهم حتى يكتسبوا





المهابــة الأبديــة في قلــوب كل القبائــل وقد وصــل كلا الخبرين (خبر إفلات القافلة وخبر جيش قريش) إلى النبي ﷺ فشــاور أصحابــه ﷺ في اختيــار أحد الفريقين (العــير أو النفير) فقام أول المستشــارين وقــال: إنهــا قريــش وخيلاؤهــا مــا آمنت منذ كفــرت ولا ذلــت منذ عزت ولم نخرج علــى هيأة الحرب فقال له رســول الله ﷺ: اجلس فجلس والأمر با لجلوس فيه إشــارة إلى عدم الرضا ورغم هذه الإشارة يقوم الثاني ويتكلم نفس الكلام عــن قريش وخيلاؤها وعزتها فيأمره النبي ﷺ با لجلوس أيضاً ويقوم ثالث وهو مهاجر أيضا فيقول: يا رســول الله إنها قريش وخيلاؤهــا وقد آمنا بك وصدقنا وشــهدنا بــأن ما جئت به حق فوالله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معــك والله لا نقــول لــك كما قالت بنو إســرائيل لموســى اذهب أنــت وربــك فقاتلا إنــا هاهنا قاعــدون ولكنا نقــول امض لأمر ربــك فإنــا معك مقاتلون فجزاه رســول الله ص خيراً، ونلاحظ الفــرق الكبــير بــين استشــارة الأول والثانــي والتي كانــت تؤكد علــى عــزة قريش وخيلاؤهــا والرد على ذلــك بالأمر با لجلوس بينما استشــارة المشــير الثالث (وهو المقداد بــن عمرو الكندي) تؤكد على الإيمان بالحق الذي جاء به الرسول ﷺ والاستعداد للقاء العدو مهما كان ذو عزة وخيلاء وبعد الاستشارات الثلاثة التي صدرت من المهاجرين فقط قال الرســول ﷺ: أشيروا عليَ أيهــا النــاس، وبهذه الكلمــة أراد أن يعرف موقــف الأنصار لأنه يتخوف أن تكون نصرتهم له وقد بايعوه عليها تقتصر على ما

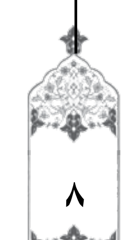
إذا داهمهم العدو في المدينة فقط ولا يشمل ذلك لقاء العدو خارج المدينة وقد فهم الأنصار ذلك فقام ممثلهم سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا فقال: نعم، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا بأن ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منهما ما شئت, والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله عز وجل أن يريك ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله ﷺ بقول سعد وقال سيروا على بركة الله فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده، والله لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة، وهو إخبار بالغيب وهذه من معجزاته ﷺ (١)



ذات الشوكة وغيرها

لم يتطرق القرآن الكريم لكل هذه التفاصيل كعادته في ذكر القصص سواء قصص الماضين أو قصص السيرة النبوية الشريفة وإنما يذكر ما هوَ عبرة وتذكير للمؤمنين فقد ذكر أن خروج النبي ﷺ من بيته سواء كان المقصود هجرته من مكة المكرمة أو خروجه للعير التي أفلتت وصار يشاور أصحابه ليختاروا بين العير والنفير فقد كان فريق من المؤمنين. وليس





(١) .انظر الصحيح من سيرة النبي الاعظم ج٥/ ص١٣ وما بعدها.

كل المؤمنين. كارهين لهذا الخروج رغم أن هذا الخروج هو خروج بحق (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ)[١]،وكاف التشبيه في أول الآيتين الكريمتين تشبه حالهم هذا بكراهية الخروج بما سبق أن ذكر في أول السورة من اختلافهم على الغنائم وفي كلا الحالين كان بعض المسلمين كارهين لهذا الأمر وكانت المصلحة كل المصلحة بالأمر الإلهي سواء في تقسيم الغنائم بعد المعركة أو الخروج إلى المعركة قبل ذلك وفي هذا عبرة كبيرة لأجيال المسلمين على مر العصور.

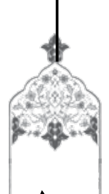
إن التدبير الإلهي هو خيرٌ ومصلحة للأمة وإن تراءى غير ذلك لبعض المسلمين فعلى المسلم أن يّسلم أمره إلى الله سبحانه والقرآن يؤكد هذه المسألة فبعد الإخبار بفرض القتال على المسلمين وهو مكروه لهم لأن فيه ذهاب الأنفس وزهوق الأرواح، لكن القرآن يؤكد على ذلك (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)[٢]

لأن هذا المكروه هو الذي يثبت الدين ويعلي رايته ويمكنه في الأرض ومن دون ذلك لا يحصل المسلمون إلا على تسلط الظالمين وأعداء الدين وفي ذلك بوار الدين وهلاك الأمة مادياً ومعنوياً وفي القرآن إشارة إلى أن المسلمين قبل واقعة بدر كانوا

(١) . سورة الأنفال / ٥-٦.
(٢) سورة البقرة/ ٢١٦.

يـودون بعد الوعد الإلهـي بإحدى الطائفتـين الغنيمة الباردة والتي تحصل بسـهولة بمجرد وصول المسـلمين إلى العير وأسر الأربعين أصحاب القافلة واغتنام ما بها من متاع بينما إرادة الله كانـت في غـير ذلك, ومرة أخرى تكون إرادة الله ـ هي خلاف إرادة المسلمين ـ هي المصلحة وإن لم يشخصها المسلمون (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)[1]، يقول سـيد طنطاوي في تفسـير هـذه الآية: (وعدكم سـبحانه إحدى الطائفتين بدون تحديد لأحدهما وأنتم تحبون أن تكون لكـم طائفة العير الـتي لا قتال فيها يذكر علـى طائفة النفير التي تحتاج منكم إلى قتال شديد وإلى بذل للمهج والأرواح وفي هـذه ا لجملة تعريـض بهم حيث كرهوا القتال وأحبوا المال وما هكذا يكون شـأن المؤمنين الصادقين ثم بين لهم سـبحانه أنهم وإن كانوا يريدون العير إلا أنه سـبحانه يريد لهم النفير ليعلو الحـق ويزهق الباطل فقال: {ويريـد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين} أي يريد الله بوعده غير ما أردتم {ويريد الله أن يحـق الحـق بكلماته} أي أن يظهر الحـق ويعمله بآياته المنزلـة علـى رسـوله وبقضائه الـذي لا يتخلف وأن يسـتأصل الكافريـن ويذ لهـم ويقطـع دابرهم أي آخرهـم)[2]، ومرة أخرى يحدثنا القرآن عن تقابل الإرادتين وتنافيهما (إرادة الله و إرادة






---

(١) الأنفال/ آية ٧.
(٢) الوسيط /١/١٧٧٨.

المسلمين)، وفي نفس المعركة إذ يقول سبحانه وتعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[1]، وقد أصّر أغلب المفسرين أن الآية تتحدث عن أحداث ما بعد المعركة والنظر في أمر الأسرى هل يقتلون كما رأى بعض الصحابة أو يؤسرون كما عن البعض الآخر وأكثروا الروايات في ذلك وبرزوا دوراً لأحد الصحابة وبالغوا في ذلك حتى نسبوا للنبي ﷺ، أن العذاب لو نزل لما نجا منه إلا هذا الصحابي فكأن الأمة استحقت نزول العذاب إلا هذا الفرد الواحد رغم أن رأيه (هو قتل الأسرى)، وهو رأي جماعة آخرين حسب النصوص التأريخية وإذا رجعنا إلى الآية الكريمة نجدها تنص على أن سنة الأنبياء بل كل الأنبياء أن لا يكون لأي منهم أي أسير إلا بعد الإثخان ومعنى الإثخان في الأرض عبارة عن التغليظ يقال تثخن الشيء فهو ثخين إذا أغلظ فلم يسل فكنى به عن استقرار دينه بين الناس كاستقرار الشيء الغليظ المنجمد الثابت ويكون ذلك بقتل الأعداء وكسر شوكتهم، ونتساءل هل حدث هذا في واقعة بدر أم لا ؟ يجيبنا الرازي بقوله: (إن قوله وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)، يدل على أنه كان الأسر مشروعاً ولكن بشرط سبق الإثخان في الأرض والمراد بالإثخان هو القتل والتخويف الشديد ولا شك أن الصحابة قتلوا يوم بدر خلقاً عظيماً وليس من شرط الإثخان في الأرض قتل جميع الناس

---

(١) الأنفال/ آية ٦٧.

ثم إنهم بعد القتل الكثير أسروا جماعة والآية تدل على أن بعد الإثخان يجوز الأسر فصارت هذه الآية دالة دلالة بينة على أن ذلك الأسر كان جائزاً بحكم هذه الآية فكيف يمكن التمسك بهذه الآية في أن ذلك الأمر كان ذنباً ومعصية؟ ويتأكد هذا الكلام بقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء))[1]، وهذا الكلام على متانته مبني على أن الآية نزلت بعد المعركة كما هو رأي أغلب المفسرين كما أسلفنا لكنه ينفي أن يكون ذلك معصية تنسب للرسول صلى الله عليه وآله وحده أو له صلى الله عليه وآله وللمسلمين وينفي تبعاً لذلك استحقاق العقاب للأمة إلا رجل واحد وللسيد شرف الدين قدس سره رأي يخالف هذه الأغلبية حيث يجعل زمان الآية الكريمة هي قبل المعركة وليست بعدها وبالتالي فهي لا تتحدث عن الأسرى بعد الحرب بل عن الأسرى قبل الحرب أي أسرى العير وليس أسرى النفير يقول السيد قدس سره: (وحيث أراد الله عز وجل أن يقنعهم بمعذرة النبي صلى الله عليه وآله في إصراره على القتال وعدم مبالاته بالعير وأصحابه قال عزمن قائل:» ما كان لنبي» من الأنبياء المرسلين قبل نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أن يكون لها أسرى حتى يثخن في الأرض» فنبيكم لا يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض على سنن غيره من الأنبياء عليهم السلام ،ولذلك لم يبال إذ فاته أسر أبي سفيان وأصحابه حين هربوا بعيرهم إلى مكة،لكنكم أنتم» تريدون» إذ تودون أخذ العير وأسر أصحابه» عرض






---

(١) مفاتيح الغيب /٧/ ٤٣٦.

الدنيا والله يريد الآخرة» باستئصال ذات الشوكة من أعدائه» والله عزيز حكيم» والعزة والحكمة تقتضيان يومئذ اجتثاث عز العدو وإطفاء جمرته. ثم قال تنديداً بهم وتهديداً لهم» لو لا كتاب من الله سبق» في علمه الأزلي بأن يمنعكم من أخذ العير وأسرأ صحابه لأسرتم القوم وأخذتم عيرهم، ولو فعلتم ذلك» لمسكم فيما أخذتم « قبل أن تثخنوا في الأرض» عذاب عظيم» هذا معنى الآية الكريمة وحاشا الله أن يريد منها ما ذكرها أولئك ا الجهلاء)[1]، وعلى كلا الرأيين يكون الإثخان قد حدث غاية ما في الأمر هو أن الآية هل نزلت قبل المعركة فتكون الآية ناظرة إلى رغبة المسلمين إلى أسر العير قبل المعركة أم نزلت بعد المعركة فتكون ناظرة إلى رغبة المسلمين إلى قتل أسرى الحرب بعد انتهائها ومن العجيب أن تذكر في روايات (ويعتبرونها صحيحة) أن أحد أفراد الأمة يكون رأيه أرجح من رأي رسول الله ﷺ الذي يقول فيه المولى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى - إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[2]، وفوق ذلك ينزل القرآن ليرجح رأي هذا الفرد - وهو غير معصوم قطعاً -على رأي رسول الله ﷺ المعصوم قطعاً ولا بد من الاعتراف أن كلمة رأي رسول الله ﷺ فيها مساحة كبيرة لأن الرسول ﷺ لا يملك رأياً وكل ما عنده وحياً.

(١) الفصول المهمة /١١٣.
(٢) النجم/ آية ٣-٤.





وجود المنافقين

هنـاك حقيقـة من حقائق القرآن مغفـول عنها وهي أن هذه المعركـة رغم صعوبتها وشـدتها ولا يثب بها إلا من امتحن الله قلبـه بالإيمـان لكن مع ذلك وهذا من العجيب أن يكون حضور لفرقتين تعيشان غالباً بين أظهر المؤمنين وهما فرقة المنافقين وفرقة مرضى القلوب حيث سجل القرآن حضور هاتين الفرقتين قـال تعالى: (إِذْ يَقُـولُ الْمُنَافِقُـونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِـم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُـمْ وَمَـن يَتَـوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَـإِنَّ اللّهَ عَزِيـزٌ حَكِيمٌ)[1]، فالآيـة بمعونـة ما قبلها من الآيات التي تتحدث عن واقعة بدر تفيـد ومـن خلال (إذ الظرفية) بـأن المنافقين ومرضى القلوب يقولـون حينهـا (حـين المعركة) إن هـؤلاء والإشـارة للمؤمنين مغـرورون بدينهـم ولـولا هذا الغـرور لم يقدمـوا على محرقة الحرب غير المتكافئة الطرفين والواضحة الخسـران باعتبارهم قلـة لا عـدة لهم ولا عـدد وقريش جاءت بعزهـا وخيلائها وقد أخطأ الفريقان بحسـابهم هذا ولم يلتفتوا أن المؤمنين توكلوا على الله سـبحانه - وبيده كل شـيء- ومن يتوكل على الله فهو حسـبه وإذا أردنـا أن نعـرف من يمثـل هذين الفريقـين تأتينا الإجابـة غائمة مرة وغير معقولة أخرى فتعالوا لنقرأ ولنعرف من هم المعنيون بهذا الوصف فنجد مفسراً كبيراً كالرازي يقول في هـذا الموضوع: (أمـا المنافقون فهم قوم مـن الأوس والخزرج، وأمـا الذيـن في قلوبهم مرض فهم قوم من قريش أسـلموا وما





(١) الأنفال/ آية ٤٩.

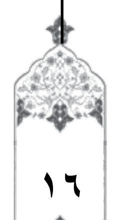
قوى إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا، ثم إن قريش لما خرجوا لحرب رسول الله ﷺ قال أولئك نخرج مع قومنا فإن كان محمد في كثرة خرجنا إليه، وإن كان في قلة أقمنا فيقومنا، قال محمد بن إسحاق: ثم قتل هؤلاء جميعا مع المشركين يوم بدر)[1]، وقد عددّ ابن كثير مرضى القلوب هؤلاء بأسمائهم فهم: (قيس بن الوليد بن المغيرة، وقيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج)[2]، هذا رغم أن القرآن يؤكد وجود (مرضى القلوب) في مكة المكرمة (قبل الهجرة) كما في سورة المدثر الآية ٣١ قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)، وامتد وجودهم حتى واقعة الأحزاب وبعدها كما في سورة الأحزاب الآية ١٢ قوله تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) والآية٦٠ أيضاً من سورة الأحزاب قوله تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا

(١) مفاتيح الغيب/ ٧/ ٤١٥.

(٢) تفسير ابن كثير/ ج ٢/ص ٣٣١.





قَلِيلًا)، وقد ذُكرَ في سورة التوبة الآية ١٢٥قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ)، وقد نزلت في أواخر عمر النبي ﷺ فلا ندري أنصدّق القرآن الذي ينص على وجودهم من أول الدعوة إلى آخرها أم نصدق هؤلاء الأعلام، ولعل أغرب ما يُقرأ في هذا المجال ما قاله الثعالبي ونسبه إلى المفسرين (الظاهر بالعموم): (قال المفسرون إن هؤلاء الموصوفين بالنفاق إنما هم من أهل عسكر الكفار ممن كان الإسلام داخل قلوبهم خرجوا مع المشركين إلى بدر منهم مكره وغير مكره فلما أشرفوا على المسلمين ورأوا قلتهم ارتابوا وقالوا مشيرين إلى المسلمين غر هؤلاء دينهم)[1]، ولم تسمع أذن الدنيا بهذا النوع من النفاق فالنفاق كما يعرفه الكل إظهار الإسلام وإبطان الكفر أما عكس ذلك فلا يسمى نفاقاً عند الكل إلا عند الثعالبي وفي هذا الموضع خاصة لأنه يريد أن يدفع تهمة وجود الفريقين بين صفوف المسلمين يوم بدر والقرآن يثبت وجودهما ووجود صنف آخر هو على مستوى طيب يومها لكنه يظلم بعد ذلك وقد حذر القرآن من ذلك فقال: (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[2]، والخطاب كما نفهمه من الآية السابقة لهذه الآية للمؤمنين تحذرهم من فتنة يشعل فتيلها (الذين ظلموا منكم)، ولكن شرها يصل إلى الكل وهذه

---

(١) الجواهر الحسان/ ٢/ ١١٥.
(٢) الأنفال/ آية ٢٥.

الفتنة ليست من الاجتهاد في شيء حتى تكون من موارد رحمة الله سبحانه بل هي ظلم فتكون من موارد شدة العقاب: (أخرج أحمد والبزار وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر عن مطرف قال قلنا للزبير يا أبا عبد الله ضيعتم الخليفة حتى قُتل ثم جئتم تطلبون بدمه فقال الزبير رضي الله عنه إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت فينا حيث وقعت وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ونعيم بن حماد في الفتن وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن الزبير رضي الله عنه قال لقد قرأنا زمانا وما نرى أنا من أهلها فإذا نحن المعنيون (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[1]، وإذا علمنا إن الزبير هو الفارس الوحيد أو هو مع المقداد بن الأسود (فهما من يمتلكان فرس يقاتلون عليه) والنتيجة التي نخلص إليها أن في أهل بدر يوم بدر فريقان ليسوا بمؤمنين وأن من أهل بدر من التحق بالظالمين بعد بدر ولو بعد مدة طويلة فإذا أخرجنا هؤلاء من بين القلة الحاضرة يوم بدر سيكون الباقي أقل من القلة وهذا الباقي من القلة دعا له رسول الله ﷺ قائلاً: (اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض)[2]، فليس من المعقول أن

(١) الدرر المنثور/ ٤/ ٤٢٦.
(٢) المسند/ ١/ ٣٢.

يشمل هذا الدعاء المنافقين ومرضى القلوب ومن فيه استعداد للظلم ولو بعد حين. والقلة القليلة في القرآن لا تؤثر- دائماً- في نصر الأعداء الكثيرين ولا الكثرة هي سبب تام في كسب النصر على الأعداء فنجد أن المولى سبحانه عندما يأمر الرسول الأكرم ﷺ بتحريض (المؤمنين) على القتال ويعده أن العشرين من المؤمنين الصابرين يغلبوا مئتين وإن يكن مئة من المؤمنين الصابرين يغلبوا ألفين لأن الألفين لا يفقهون وقد تدنت هذه النسبة بعد حين بسبب الضعف فصارت النسبة واحدة، صابر مقابل اثنين من الكافرين فقال عز من قائل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ - الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)[1]، لكن علينا أن نعرف ما هو الضعف الذي يكون سبباً للتخفيف فيكون الجواب (المراد به الضعف في الصفات الروحية ولا محالة ينتهي إلى الإيمان فإن الإيقان بالحق هو الذي ينبعث عنه جميع السجايا الحسنة الموجبة للفتح والظفر كالشجاعة والصبر والرأي المصيب وأما الضعف من حيث العدة والقوة فمن الضروري إن المؤمنين لم يزالوا يزيدون عدة وقوة في زمن

(١) الانفال/ آية ٦٥-٦٦.

النبي ﷺ)[1]، وقد قيدت الغلبة (بإذن الله) والإذن يحصل إذا توفر الإيمان والصبر لأن (الله مع الصابرين) وعدم التفقه في جانب الكافرين هو سبب خسارتهم في المعارك ومن هذا نفهم إن على المسلم حينما يدخل في معركة أن يوفر عنصرين، الإيمان والصبر حتى يحصل معية الله سبحانه فيتحقق النصر ولا يلتفت إلى مسألة الكثرة والقلة لأنهما ليسا علتين منحصرتين لكسب المعركة أو خسارتها.

المعركة:

التقى فريقان قرب وادي بدر المنسوب إلى بدر بن يخلد بن نضر بن كنانة، والذي يبعد عن المدينة المنورة قرابة ١٥٠ كيلو متر فريق يقوده النبي ﷺ وهم المؤمنون وفريقاً يقوده أبو جهل وقد عرض النبي ﷺ على أعدائه عرضاً يتلائم وينسجم مع فكرهم ومنطقهم ويتلاقى مع مصالحهم فقد عرض عليهم (يا معشر قريش، ما أحد من العرب أبغض إلي ممن بدأ بكم خلوني والعرب، فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عينا، وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا، فقال عتبة: والله ما أفلح قوم قط ردوا هذا! وأقبل يقول: يا معشر قريش ! أطيعوني اليوم واعصوني الدهر وارجعوا إلى مكة، واشربوا الخمور وعانقوا الحور، فإن محمداً له إل وذمة، وهو ابن عمكم

(١) الميزان ٦/ ٦٧.

فارجعوا، ولا تنبذوا رأيي، وإنما تطالبون محمداً بالعير التي أخذها محمد بنخيلة ودم ابن الحضرمي، وهو حليفي وعلي عقله فلما سمع أبو جهل ذلك غاضه وقال: إن عتبة أطول الناس لساناً وأبلغهم في الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكونن سيد قريش آخر الدهر ثم قال: يا عتبة! نظرت إلى سيوف بني عبد المطلب وجبنت وانتفخ سحرك وتأمر الناس بالرجوع، وقد رأينا ثأرنا بأعيننا! فنزل عتبة عن جمله وحمل على أبي جهل وهو على فرسه فعرقب فرسه وأخذ بشعره وقال: أمثلي يجبن؟! وستعلم قريش اليوم أينا ألأم وأجبن؟ وأينا المفسد لقومه! لا يمشي إلى الموت عياناً إلا أنا وأنت! ثم أخذ يجره بشعره! فاجتمع الناس يقولون: يا أبا الوليد! الله الله! لاتفت في أعضاد الناس تنهى عن شيء وتكون أوله، حتى خلصوا أبا جهل من يده، فذهب ولبس درعه، وطلبوا له بيضة تسع رأسه - وكان عظيم الهامة- فلم يجدوا . فاعتم بعمامتين، ثم أخذ سيفه ونظر إلى ابنها لوليد فقال: قم يا بني،فقام معه، فنظر إلى أخيه شيبة، فقام معه)[1]، وكان هؤلاء الثلاثة أول من برز وطلبوا من يبارزهم من المسلمين فبرز ثلاثة من الأنصار ولم يقبلوا ذلك فأرادوا اكفاءهم من قريش فخرج الأكفاء الثلاثة ومن بني هاشم خاصة حتى يثبت النبي صلى الله عليه وآله أنه يفدي دينه الحق، بخاصة أهل بيته عليهم السلام وفعلاً قد استشهد ابن عمه عبيدة بن الحارث وفي هاتين الثلاثتين نزل

(١) موسوعة التأريخ الإسلامي/ ٢/ ١٢٦.







قرآنا يتلى أناء الليل وأطراف النهار فقد (ثبت في الصحيحين من حديث أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر أنه كان يقسم قسماً إن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر لفظ البخاري عند تفسيرها حدثنا الحجاج بن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبومجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة)[1]، والتحم الفريقان فريق يصفه القرآن (خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ)[2]، وفريق المؤمنين وصفهم رسول الله ﷺ العصابة التي إذا هلكت لم يعبد الله في الإرض ولذلك نرى الخذلان الإلهي للفريق الأول والتأييد الإلهي للفريق الثاني ومقدمة تلك التأييدات الإلهية، الإمداد بالماء والنعاس فقبل المعركة كان المسلمون عطاشى أولاً وأصابتهم ا لجنابة ثانياً وكانت الأرض رملية تسوخ فيها الأقدام وكانوا مضطربين وقد عا لج المولى كل ذلك بإنزال النعاس والمطر فعا لج كل تلك الأدواء (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ

(١) تفسير ابن كثير/ ٥/ ٤٠٥.
(٢) الانفال/ آية ٤٧.




وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ)[1]،وقبل ذلك رآى رسول الله ص في المنام عدد العدو قليلاً وقد ذكر القرآن هذه الرؤيا والغاية منها حتى لا يقع المسلمون في الفشل والتنازع (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)[2]، والملاحظ أن الفشل والتنازع منسوب إلى المسلمين لا إلى النبي ﷺ مما يدل على أن الكثرة لا تفل عزم الرسول ﷺ وهناك إراءة ثانية وزمانها بدء القتال وكانت هذه المرة تقليل كل طرف بعين الآخر وفائدة هذا التقليل لكلا الطرفين حتى لا يتأهب المشركون للقتال الشديد ويتخيلوا بأنهم لا يحتاجون في دفع المسلمين إلى جهد كبير حتى قال رئيسهم خذوا أصحاب محمد بالأيدي وأمرهم بمعاملة أهل المدينة بالقتل وأسر القرشيين وفي موضع آخر عبر فيها عن غروره، إنما هي أكلة رأس، أما لماذا يرى المسلمون المشركين قلة؟ حتى لا يرعبوا ويدخلوا الميدان بقوة فقد قال تعالى: (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ)[3]، وهناك إراءة ثالثة وهي في أثناء القتال وهذه المرة يكثر المسلمين بعين العدو وعلى خلاف الإراءة في أول القتال ليبعث الرعب والهلع في قلوب الكافرين للوصول إلى نصر الله والفتح وهزيمة





---

(١) الانفال/ آية ١١.

(٢) الانفال/ آية ٤٣.

(٣) الانفال / آية ٤٤.

المشـركين (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ)[1]، وفوق ذلك إمداد المسلمين بالملائكة استجابة لاستغاثتهم بربهم (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ - وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2]، وهذا الوعد الإلهي بالإمداد بألف من الملائكة وقد وصف هؤلاء الملائكة بـ (مردفين) ومعناه إن هناك آخرين يتبعون هذا الألف وهذا ما ينطبق على وعد رسول الله ﷺ للمسلمين بثلاثة آلاف من الملائكة بل بخمسة آلاف بشرط الصبر والتقوى ومجيء العدو وقد حكى القرآن هذا الوعد النبوي (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ - بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ - وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)[3]، ويمكن أن نرتب بين الوعود الثلاثة ليرتفع التنافي الظاهري فنقول.

الوعد الإلهي بـ ألف (مردوفين) بمعنى يتبعهم غيرهم.

الوعد النبوي الأول بـ بثلاثة آلاف (منزلين) وهو الألف الأول

(١) آل عمران / آية ١٣.

(٢) الأنفال/ آية ٩-١٠.

(٣) آل عمران/ آية ١٢٤-١٢٦.



وألفي الردف

وعد النبي الثاني بـ بخمسة آلاف (مسومين) بشرط الصبر والتقوى ومجيء العدو.

والملاحظ أن الوعدين (الإلهي والنبوي) دائما يتبعه (وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ) مما يدل على أن نزول الملائكة لا للقتال بل لزيادة عزم المؤمنين وعليه عدة أدلة

(أولاً: لقد قرأنا في الآية قوله تعالى:

ولتطمئن قلوبكم، فإذا ما علم المسلمون بهذا المدد فإنهم يقاتلون بصورة أفضل، لا أن الملائكة شاركت في الحرب،

ثانيا: إذا كانت الملائكة هي التي قتلت جنود الأعداء، فأية فضيلة للمجاهدين في معركة بدر وما ورد عن مقامهم ومنزلتهم من روايات كثيرة؟

ثالثا: كان عدد المقتولين في بدر هو (سبعون نفراً) وقد كان الكثير منهم قد سقط بسيف علي عليه السلام ،والقسم الآخر بيد المقاتلين الآخرين، وهؤلاء معروفون بأسمائهم في التاريخ، فبناء على ذلك – من الذي – بقي لتقتله الملائكة)[1]، وقد استدل فريق كبير من المفسرين بقوله تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ

(١) الأمثل/ ٥/ ٢٧٧.






كُلَّ بَنَانٍ)[1]، ففهموا أن فعل الأمر (اضربوا) موجه للملائكة كما أن التثبيت موجه إليهم ويمكن أن يحُمل أن فعل الملائكة التثبيت وبعد القاء الرعب في قلوب الكافرين (وهو فعل إلهي وعناية ربانية تضاف للعنايات الأخرى فتكون الأرضية مهيأة للمؤمنين للقتال وضرب الأعناق والبنان ومقابل كل هذه العنايات الربانية بالمؤمنين هناك عذاب شديد في الدنيا وآخر في الآخرة يستحقه الطرف الآخر (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ - ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ)[2]، ومقابل ولاية الله للمؤمنين هناك ولاية الشيطان للكافرين والقرآن يحدثنا عن بداية هذه الولاية عند التحضير للمعركة ونهاية هذه الولاية بالتبرىء منهم قبل بدء المعركة (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[3]، فقد (ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الشيطان غر الكفار، وخدعهم، وقال لهم: لا غالب لكم وأنا جار لكم، وذكر المفسرون: أنه تمثل لهم في صورة (سراقة بن مالك بن جعشم)،سيد بني مد لج بن بكر بن كنانة، وقال لهم ما ذكر الله عنه، وأنه مجيرهم من بني كنانة، وكانت بينهم عداوة، (فلما ترآءت الفئتان نكص على



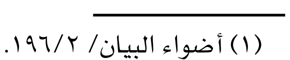
(١) الانفال/ آية ١٢.
(٢) الانفال /آية ١٣-١٤
(٣) الانفال / آية ٤٨.

عقبيه)، عندما رأى الملائكة وقال لهم: (إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون)،فكان حاصل أمره أنه غرهم، وخدعهم حتى أوردهم الهلاك، ثم تبرأ منهم، وهذه هي عادة الشيطان مع الإنسان كما بينه تعالى في آيات كثيرة)[1].

نهاية ونتائج:

انتهت المعركة عن أربعة عشر شهيداً من المسلمين يتقدمهم ابن عم النبي –ص- عبيدة بن الحارث وعن سبعين قتيل كلهم أو جلهم من فراعنة قريش ومثلهم أسرى بعد أن حصل الإثخان في الأرض وقد مر بنا أن اتخاذ الأسرى بعد الإثخان مباح في الشريعة وقد روى المسلمون إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله خاطب جثث مشركي قريش بقوله: (يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً فقال أصحابه يا رسول الله تكلم أقواماً موتى فقال لقد علموا أن ما وعدكم ربكم حق)[2]، وكان لأمير المؤمنين عليه السلام الحظ الأوفر في قتل نصف السبعين وقد شارك في قتل بعض النصف الآخر مما كان له الأثر الكبير في تعريف شجاعة الإمام عليه السلام: لذا (كانت قريش إذ رأت أمير المؤمنين عليه السلام في كتيبة تواصت خوفاً منه، ونظر إليه رجل، وقد شق العسكر، فقال: قد علمت أن ملك الموت





(١) أضواء البيان/ ٢/ ١٩٦.

(٢) المستدرك/ ٥/ ٢٢٥.

في الجانب الذي فيه علي)[1]، وكان عاقبة ذلك أن يكون علياً عليه السلام مبغوضاً من قريش عامة ومن أولياء المقتولين خاصة وإذا علمنا أن مواقفه اللاحقة هي نفسها في هذا الموقف، نفهم موقف قريش العدائي لأمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد ذلك فقد روى التأريخ نداء قائد جيش بعد عشرين سنة من استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام محرضاً على قتال ابنه سيد شباب أهل الجنة (ويلكم أتدرون من تبارزون!؟ هذا ابن الأنزع البطين هذا ابن قتّال العرب فاحملوا عليه من كل جانب)[2]، ولقد كان للانتصار الأول أثراً في موقع المسلمين بمجتمع الجزيرة فبعد بدر تبدلت النظرة إلى المسلمين من قلة يأخذون بالأيدي إلى رقم صعب لا يمكن تجاوزه بسهولة ويجب إعداد العدة الكبيرة لمواجهته مما شجعهم على خوض معارك أخرى بعد نيل هذا الانتصار غير المتوقع وفي الطرف الآخر انكسر جبروت قريش وخيلاؤها فقد ضربت ضربة موجعة أرعبتها وأيقضتها من سبات الغفلة التي ملأت نفوسهم بالغرور مما دعاها لاتخاذ الاحتياطات الكثيرة للوصول إلى النصر في اللقاءات اللاحقة وبدون خسائر كبيرة .

والدرس الكبير والأهم هو أن الله سبحانه ولي المؤمنين ينصرهم إن شاء وما النصر إلا من عند الله وإن كانت الأسباب المرئية وا لمحسوبة لدى الناس لا تكفي لإحراز النصر بشرط

(١) محاظرات الأدباء / ٢/ ١٣٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب/ ٤/ ١١١.



أن يتوفر عنصري الإيمان والصبر وفي المقابل إن الشيطان ولي الكافرين يزين لهم أوضاعهم الحاضرة يمنّيهم النصر وعندما يرى أسباب الهزيمة يترك أوليائه وحدهم في الميدان ليلاقوا مصيرهم الأسود الذي ينتظرهم وهذه سُنَّة إلهية جارية في كل فئتين التقتا في الماضي أو ستلتقي في المستقبل إن كانت عناصر الولائين موجودة في كلا الفريقين،ولعل الأمة الإسلامية لم توفق لهذه التأييدات الإلهية في هذا العصر وقبل هذا العصر لأنها فقدت قيمة الإيمان بالله والتوكل عليه والصبر في الشدائد وإذا عادت إلى تلك القيم فسينصرها الله وهذا ما يحصل للأمة في زمن الظهور فقد روى محمد بن الحنفية قال: (كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي فقال علي رضي الله عنه هيهات ثم عقد بيده سبعاً فقال ذاك يخرج في آخر الزمان إذ قال الرجل الله الله قتل فيجمع الله تعالى له قوماً قزع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر)[1]، وقد أجاب المرجع الديني الشيخ بشير النجفي عند سؤاله عن عدد أصحاب الإمام الحجة عجل الله فرجه بعدد أصحاب بدر هل هم قادة جيشه أم عدد الناصرين؟ قال: (لا أعتقد أن يكون عدد الناصرين منحصراً في (٣١٣) فقط لأن هذا غير مقبول عقلاً وقد علمنا

(١) المستدرك / ٤/٥٥٤.

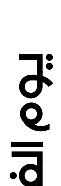




أن الإمام يريد أن يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بالقوة وبالسيف فيمكن أن يكونوا قادته حسب ميزاننا أو قادة جيوشه أو مثل ما يقال برلمانه المقدس)[1].

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أنصاره بمحمد وآله وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) ولادة الإمام المهدي عليه السلام / ٤٤.





المصادر

القرآن الكريم

١. الـوسـيـط........................ سيد طنطاوي.

٢. مفاتيح الغيب....................... الفخر الرازي.

٣. الفصول المهمة.........سيد عبد الحسين شرف الدين.

٤. تفسير ابن كـثـيـر........................ لأبـن كثير.

٥. الجواهر الـحـسـان......................... الثعالبي.

٦. الـدر الـمـنـثـور.......................... السيوطي.

٧. مسند أحـمـد....................... أحمد بن حنبل.

٨. الميزان في تفسير القرآن......محمد حسين الطباطبائي.

٩. موسوعة التأريخ الإسـلامـي....... اليوسفي الغروي.

١٠. تفسير الأمثل.....................ناصر مكارم الشيرازي

١١. أضـواء الـبـيـان.......................... الشقنقيطي.

١٢. المستدرك على الصحيحين....... الحاكم النيسابوري.

١٣. محاضرات الأدباء............الراغب الأصفهاني.

١٤. مناقب آل أبي طالب...............ابن شهر اشوب.

١٥. ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه .محاضرات للشيخ بشير النجفي.









الفهرس

